ابن القيم رحمه الله قد كفانا مؤنة الرد بلا تكلف . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الروح الى البدن وقت السؤال ، وسؤال البدن بلا روح قول طائفة من الناس ، وأنكره الجمهور ، وقابلهم آخرون فقالوا: السؤال للروح بلا بدن . وهذا قاله ابن مسرة وابن حزم ، وكلا غلط ، والأحاديث الصحيحة ترده والله أعلم انتهى كلامه .

﴿ الباب السادس والعشرون ﴾

(فى اجتماع الارواح وهياتها وأين محلها والخلاف فى ذلك)

قال الله تعالى : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) وقال الله تعالى : (ونفخت فيه من روحى) وقوله : (فنفخنا فيه من روحنا) وقوله ﷺ « ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح » وأما قوله تعالى :(فارسلنا اليها روحنا) و(يقوم الروح والملائكة صفا) فهل هو جبريل أو ملك آخر ؟فيه خلاف للمفسرين ، وأما كلام العلماء فى هذا الباب فقد ألف الناس فيه شيئا كثيرا ، لكن على غير هذا الترتيب ، فنذكر نبذة يسيرة جامعة لكلام غالب العلماء فى مستقر الارواح بعد الموت الى أن تقوم الساعة ، هل هى فى السماء أم فى الارض ؟ وهل هى فى الجنة أم فى النار ؟وهل تنعم فى أجسادها وتعذب أم تودع فى أجساد غير أجسادها ؟أم تكون مجردة أو تعدم بالكلية فلا يبقى لها وجود أصلا ؟ فقد نقل عن العلماء فى ذلك اختلافا كثيراً متباينا ، ذهب كل طائفه الى قول نصرته ورجحته على غيره ، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بأذنه ، وهذه المسألة إنما تعرف من جهة الشرع بالسمع ، فمن العلماء من ذهب الى أن أرواح المؤمنين والشهداء فى الجنة بشرط أن لا يحبسهم عنها ذنب عظيم ، كمظالم العباد ونحوها ، فاذا كانوا خالين من ذلك تلقاهم ربهم بالعفو والرحمة . قال الله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا

بل أحياء عند ربهم يرزقون) وممن ذهب الى هذا القول أبو هريرة وعبد الله بن عمر وجماعات من السلف . قال الامام احمد فى رواية ابنه عبد الله : إن أرواح المؤمنين فى الجنة ، وأرواح الكفار فى النار * وذهبت طائفة الى أن أرواح المسلمين على أبواب الجنة يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها . وقال أبو عبد الله بن منده : وقالت طائفة من العلماء من الصحابة والتابعين : أرواح المؤمنين عند الله عز وجل ، ولم يزيدوا على ذلك . ثم قال : وقد روى عن جماعة من الصحابة والتابعين أن أرواح المؤمنين بالجابية ، وأرواح الكفار فى بئر برهوت ـ بئر بحضرموت ـ : وقال أبو عمر بن عبد البر : أرواح الشهداء فى الجنة ، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم ، وحكى ابن المبارك عن ابن جريج فيما قرأ عليه عن مجاهد . قال : أرواح المؤمنين فى الجنة يأكلون من ثمارها ، ويجدون ريحها . وقال مالك : بلغنى أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت . وقال صفوان بن عمر : سألت عامر بن عبد الله هل لأنفس المؤمنين مجتمع ؟ قال : إن الارض التى يقول الله : (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) قال : هى الارض التى تجتمع اليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث. وقال : هى الارض التى يورثها الله المؤمنين فى الدنيا * وقال كعب الاحبار : أرواح المؤمنين فى عليين فى السماء السابعة ، وأرواح الكفار فى سجين فى الارض السابعة . وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : أرواح الأبرار فى عليين ، وأرواح الفجار فى سجين ، وعن عبد الله بن عمر نحوه وذهب طائفة من العلماء الى أن أرواح المؤمنين فى بئر زمزم . ولم أطلع على دليل يدل على هذا القول . ثم قال أرباب هذا القول ! وأرواح الكفار فى بئر برهوت . وقال سلمان الفارسى : أرواح المؤمنين تذهب حيث شاءت ، كما قال مالك ـ وقد تقدم ـ وأرواح الكفار فى سجين . وقال ابن قتيبة : ذهب جماعة من العلماء الى أن أرواح المؤمنين على أفنية

قبورهم . ومنهم من ذهب من أهل السنة والجماعة الى أن ارواح المؤمنين والكفار في القبور ،وأن الروح تنعم وتعذب فى القبر الى يوم القيامة ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ، وأن القبر روضة من رياض الجنة ،أو حفرة من حفر النار ، ولهذا نهى عن الجلوس على القبر ، وأمر بالسلام عليهم وقال : « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال له : هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة » وذهب جماعة من العلماء الى أن محل الأرواح ومستقرها فى سماء الدنيا ، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ ليلة الاسراء أنه رأى ليلة أسرى به فى السماء الدنيا آدم عليه السلام ، وعن يمينه أرواح أهل السعادة ، وعن شماله أرواح أهل الشقاوة ، ومن هذا الباب ما ثبت فى صحيح البخارى من حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ فى حديث الرؤيا، الى أن قال فيه : فاما الرجل الطويل الذى فى الروضة فابراهيم عليه السلام ، وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة فقيل يارسول الله : وأولاد المشركين ؟ قال : وأولاد المشركين » وفى رواية له : والشيخ فى أصل الشجرة ابراهيم والصبيان حوله أولاد الناس . فهذا الحديث ليس هو عام فى جميع الأرواح ، وإنما هو خاص بأرواح الصغار ، وما رأيت أحدا ذهب الى التفرقة بين أرواح الصغار والكبار لهذا الحديث ، ولا أعلم أحدا قال به . والله أعلم *

﴿ فصل ﴾

فى الاشارة الى الدليل

وقد أشرنا الى بعضه فيما تقدم ، ولو ذكرنا كل قول ، وحجج من نصره وذهب اليه ، لطال الكتاب وخرج عن موضوعه ، ولكن نذكر ما يسره الله تعالى من الأحاديث ، فمنها ما ثبت فى الصحيح من حديث عبد الله ابن

مسعود ـ كذا وقع فى نسخ متمد عليها ـ ووقع فى بعض النسخ عبد الله فقط ، فمن الحفاظ من يقول عبدالله بن عمرو ، ومنهم من يقول ابن مسعود ، والله أعلم بالصواب ، أن النبى ﷺ . قال فى الشهداء : « أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل » وفى حديث قتادة لفظ غريب . قال : أرواح المؤمنين فى صورة طير بيض . قال القاضى عياض : فى هذا الحديث ذكر أرواح الشهداء ، وفى حديث مالك، إنما نسمة المؤمن لم يذكر الشهداء ، والنسمة تطلق على ذات الانسان جسما وروحا ، وتطلق على الروح مفردة ، وهو المراد بها فى هذا الحديث والله أعلم . وفى الحديث دلالة على أن المراد بها الروح قطعا ، فانه قال : حتى يرجعه الله الى جسده يوم القيامة ، ولكن تارة فى هذا الحديث ذكر نسمة المؤمن، وفى اللفظ الآخر أرواح الشهداء . وقد ورد فى حديث ابن عمر أن غير الشهداء إنما يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى، كما ورد فى النظر فى قوله تعالى فى حق آل فرعون(النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) قال القاضى عياض أيضا فى موضع آخر : وقيل المراد جميع أرواح المؤمنين الذين يدخلون الجنة بغير عذاب ، فيدخلونها الآن بدليل عموم الحديث . كذا ذكره النووى فى شرح مسلم . وقد ورد بلفظ آخر فى صحيح مسلم ، أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها . ليس فيه ذكر أجواف طير . وهذا إخبار منه ﷺ عن الشهداء المؤمنين . وذكر ابن منده باسناده عن اسماعيل بن طلحة بن عبد الله عن ابنه . قال : أردت مالى بالغابة فادركنى الليل ، فآويت الى قبر عبد الله بن عمرو بن حزم ، فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها ، فجئت الى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له ، فقال : « ذاك عبدالله ، ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها فى قناديل من زبرجد وياقوت وعلقها وسط الجنة ، فاذا كان الليل ردت اليهم أرواحهم

فلا تزال كذلك حتى إذا طلع الفجر ردت أرواحهم الى مكانهم التى كانت » واخبر سبحانه وتعالى عن أرواح قوم فرعون أنها تعرض على النار غدواً وعشيا قبل يوم القيامة ، وليس للعقول فى هذا مجال ، فانه سبحانه وتعالى يتصرف فيها كيف شاء وغير مستحيل أن يصور هذا الجزء طائرا ، أو يجعل فى جوف طائر ، أو فى حواصل طير ، أو فى قناديل معلقة بالعرش . قال العلامة ابن القيم : وهذه حياة أرواحهم ورزقها ، والأبدان قد تمزقت. وقد فسر رسول الله ﷺ هذه الحياة بأن أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى الى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا؟ قالوا : أى شئ نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ يفعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى . وصح عنه ﷺ الحديث من غير وجه ، وفى بعض الالفاظ تعلق من ثمر الجنة ـ وتعلق بضم اللام تأكل العلقة ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا : ياليت إخواننا يعلمون ماصنع الله لنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب » فقال الله : أنا أبلغهم عنكم فانزل الله على رسوله (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) رواه الامام أحمد ولا أعلم أحداً ذهب الى أن هذا النعيم المذكور مختص بالذين قتلوا فى أحد والله أعلم *

﴿ فصل ﴾

وذهب ابن حزم وجماعات الى أن مستقر الأرواح حيث كانت قبل خلق

أجسادها ، قال ابن حزم : وهـذا الذى أخبر الله تعالى به ونبيه ﷺ لا يتعداه وهو البرهان الواضح ، قال الله تعالى : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم عـلى أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هـذا غافلين) وقال تعالى : (ولقـد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائـكة اسجدوا لآدم) فصح أن الأرواح خلقها الله تعالى جملة ، وكذلك أخبر ﷺ : « أن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وأخـذ الله وشهادتها له بالربوبية وهى مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن يأمر الملائـكة بالسجود لآدم ، وقبل أن يدخلها فى الاجساد ، والاجساد يومئذ تراب وماء ، ثم أخرها حيث شاء وهو البرزخ ، ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها فى الأجساد المتولدة من المنى ، الى أن قال ابن حزم : فصح أن الأرواح أجساد كاملة لاعراضها من التعارف والتناكر ، وأنها عارفة مميزة ، فاذا توفاها الله تعالى رجعت الى البرزخ الذى رآها فيه رسول الله ﷺ ليلة أسرى به عند سماء الدنيا ، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم ، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره ، وذلك عند منقطع العناصر ، وتعجل أرواح الانبياء والشهداء الى الجنـة . ثم قال : وقد ذكر محمد بن نصر المروزى عن اسحاق بن راهويه هذا الذى ذكرنا بعينه . ثم قال : وعلى هـذا أجمع أهل العلم . انتهى كلامه . وذكر الأدلة على ذلك ولم يذكر خلافا وقد تقدم ذكر الخلاف على ذلك ، وما ذكره أبو محمد بن حزم فهو ينبى على أصل ، وهو أن الأرواح هل خلقت قبل الأجساد ، أو الاجساد خلقت قبل الأرواح ؟ فهذه المسألة للناس فيها قولان ، حكاهما شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره (أحدهما) ماحكاه واختاره ابن حزم ومحمد بن نصر المروزى وقد تقدم ، وذكرنا ما استدل به (والقول الثانى) وعليه عامـة السلف والخلف أن الاجساد خلقها متقدم على الأرواح ، والأدلة متظاهرة من وجوه عديدة ليس هذا محل ذكرها ، فخلق أبى

البشر الذى هو أصل الناس هكذا ، فانه سبحانه وتعالى أرسل جبريل فقبض قبضة من الأرض ، ثم خمرها حتى صارت طينا ، ثم صوره ، ثم نفخ فيه الروح بعد تصويره ، وهذه قصة مشهورة قد وردت من عدة طرق ، تدل على أن الله سبحانه نفخ فيه من روحه بعد أن خلق جسده . وفى الصحيح أن النبى ﷺ قال : « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح » الحديث المشهور . فنفخ الملك فيه الروح هو سبب حدوث الروح فيه ، ولو كان للروح وجود قبل البدن وهى حية عالمة ناطقة لكانت ذاكرة فى هذا العالم ، شاعرة به ولو بوجه ما ، ومن الممتنع أن تكون حية عالمة ناطقة عارفة بربها وهى بين ملاء من الارواح تنتقل الى هذا البدن ولا تشعر بحالها الاول ، وإذا كانت بعد المفارقة تشعر بحالها وهى فى البدن على التفصيل ، وتعلم ماكانت عليه هاهنا مع أنها التبست بالبدن أمورا عاقها عن كثير من حالها ، فلأن تشعر بحالها الاول وهى غير معوقة هناك بطريق الاولى . والله أعلم *

﴿ فصل ﴾

فى قوله ﷺ : « الأرواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » فمن العلماء كابن حزم وابن نصر المروزى وغيرهما يقول : الأرواح مجموعة أو مجتمعة ، وأنواع مختلفة ، فهى خلقت مجتمعة ثم فرقت فى أجسادها ، فمن وافقه نسيمه ألفه ، ومن باعده نافره وخالفه ، وقال الخطابى وغيره : هو ما خلقها الله عليه من السعادة والشقاوة فى المبتدأ ، فالأرواح قسمين متقابلين ، فاذا تلاقت الأجساد فى الدنيا ائتلفت واختلفت بحسب ماخلقت عليه ، فيميل الأخيار الى الأخيار ، والأشرار الى الأشرار . انتهى كلامه . ومن هذا الباب ما احتج آدم وموسى ، قال الحسن : معناه التقت أرواحهما فى السماء فوقع الحجاج بينهما . قال القاضى

عياض : ويحتمل أنه على ظاهره ،وأنهما اجتمعا باشخاصهما . وقد ثبت فى حديث الاسراء أن النبى ﷺ اجتمع بالانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى السموات ، و فى بيت المقدس ، وصلى بهم . قال : فلا يبعدأن الله أحياهم . قال : ويحتمل أن قصة موسى جرت فى حياة موسى ،وأنه سأل أن يريه آدم فحاجه والله أعلم .

﴿ فصل ﴾

وهل الارواح مخلوقة محدثة كائنة بعد أن لم تكن ، أم قديمة ؟ وهى من أمر الله ولا يكون أمر الله مخلوقا ولا محدثا ، وقد أخبر أنه نفخ فى آدم من روحه ، فهذه الاضافة اليه هل تدل على أنها قديمة أم لا ؟ وما حقيقة هذه الاضافة؟ قال العلامة ابن القيم : وهذه المسألة زل فيها عالم ، وضل فيها طوائف من بنى آدم ، وهدى الله أتباع رسوله فيها للحق المبين . فأجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على أن الروح محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة ، هذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام أن العالم حادث ، وأن معاد الابدان واقع ، وأن الله وحده الخالق وكل ماسواه مخلوق له ـ حتى نبعت نابعة ـ فمن قصر فهمه فى الكتاب والسنة فزعم أنها قديمة غير مخلوقة ،واحتج بانها من أمر الله وأمره غير مخلوق ، وبانها أضافها اليه كما أضاف اليه علمه وحياته وقدرته ، وتوقف فى ذلك آخرون فقالوا : لانقول مخلوقة ولا غير مخلوقة ، انتهى كلامه . وقال الحافظ ابن منده : لما سئل عن الارواح ، هل هى مخلوقة أم لا ؟ فقال : إن الناس اختلفوا فى معرفة الارواح ومحلها من النفس ، فقال بعضهم : الأرواح كلها مخلوقة، وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر ، واحتجت بقوله ﷺ « الأرواح جنود مجندة ما تعارف ائتلف » الحديث . والجنود المجندة لاتكون الا مخلوقة ،وقال بعضهم : الارواح من أمر الله ، أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق ،واحتجت بقوله (قل الروح من أمر ربى) وقال بعضهم : الأرواح نور من نور الله تعالى ،وحياة من حياته .واحتجت بقوله ﷺ : « إن الله

خلق خلقه فى ظلمة وألقى عليهم من نوره » انتهى كلامه . وقال محمد بن نصر المروزى : تأول صنف من الزنادقة ومن الروافض فى روح آدم ، ماتأولته النصارى فى روح عيسى ، وما تأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات الله فصار فى المؤمن فقال صنف من الزنادقة ، وصنف من الروافض . إن روح آدم غير مخلوق وتأولوا قوله تعالى (ونفخت فيه من روحى) وقوله (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) ثم قال بعد كلام طويل : ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح التى فى آدم وبنيه ، وعيسى ومن سواه من بنى آدم كلها ، مخلوقة لله ، خلقها وأنشأها وكونها واخترعها . انتهى كلامه وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : روح الآدمى مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الامة وأئمتها وسائر أهل السنة . وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة ، غير واحد من أئمة المسلمين ، مثل محمد بن نصر المروزى ، وأبو محمد بن قتيبة ، وغيرهما ، وذكر كلاما طويلا وبحثا كثيرا يطول ذكره والله أعلم *

﴿ فصل ﴾

(مهم نافع)

من استدل باضافة الروح الى الله تعالى بقوله : (ونفخت فيه من روحى) فينبغى أن يعلم أن المضاف الى الله سبحانه وتعالى نوعان (أحدهما) صفات لاتقوم بأنفسها ، كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر ، فهذه إضافة صفة الى موصوفها ، صفات له غير مخلوقه ، وكذلك وجهه ويده سبحانه وتعالى (الثانى) إضافة أعيان منفصلة عنه ، كبيت الله ، وناقة الله ، وعبد الله ، ورسول الله ، وروح الله ، فهذه إضافة مخلوق الى خالقه ، ومصنوع الى صانعه ، لكنها إضافة تقتضى تخصيصاً وتشريفا يتميز به المضاف اليه عن غيره ، كبيت الله ، وإن كانت البيوت كلها ملكا لله ، وكذلك ناقة الله ، والنوق كلها ملكه وخلقه ، ولكن هذه إضافة الى إلاهيته تقتضى محبته لها وتشريفه ، بخلاف الاضافة العامة الى ربوبيته حيث

تقتضى خلقه و إيجاده ، هذا خلق الله ، فالعامة تقتضى الخلق والأيجاد ، والخاصة تقتضى الاختيار ، والله يخلق مايشاء و يختار ، و إضافة الروح اليه من هذه الاضافة الخاصة لا من العامة ، ولا من باب إضافة الصفات ، فتأمل هذا الموضع فانه ينفعك من التخلص من البدع ، فقد ضل فيه خلق كثير نسأل الله العصمة *

(فصل)

وهل الأرواح تموت أم الموت للأبدان خاصة : فقد اضطربت مقالات الناس فى هذا الباب ، فقالت طائفة : تموت وتذوق الموت ، لانها نفس وكل نفس ذائقة الموت ، قالوا :وقد دل القرآن عليه بقوله: (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقوله تعالى : (كل شئ هالك الا وجهه) (وكل نفس ذائقة الموت) قالوا : وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت . وقال تعالى فى حق أهل النار : (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) فالموتة الأولى هذه المشهودة فهى للبدن ، والأخرى للروح ،وقال آخرون:لاتموت الأرواح فانها خلقت للبقاء ، وإنما تموت الأبدان . قالوا : وقد دل على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الارواح وعذابها بعد المفارقة الى أن يرجعها الله فى أجسادها ، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب ، وقال تعالى :(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين) الآية . هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وذاقت الموت ، قال العلامة ابن القيم : والصواب أن يقال : موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها . وخروجها منها ، فان أريد بموتها هذا القدر فهى ذائقة الموت، و إن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضاً فهى لا تموت ، بل هى باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب كما صرح به فى النصوص حتى يردها الله فى أجسادها ، ثم ساق بعد ذلك النصوص الواردة فى هذا المحل . انتهى كلامه

(فصل)

وهل عـذاب القبر على الروح والبدن ، أو على الروح دون البدن ، أو على البدن دون الروح ؟ وهل يشارك البـدن النفس فى النعيم والعـذاب أم لا ؟ قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ـ بعد أن سئل عن هذه المسألة فأجاب ـ بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن ، وتنعم وتعذب متصلة بالبـدن ، والبدن متصل بها ، فيكون النعيم والعـذاب عليهما فى هـذه الحال مجتمعين ، كما تكون الروح منفردة عن البدن ، منعمة أومعذبة ، وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح ؟ هذا فيه قولان مشهوران لاهل الحديث والسنة وأهل الـكلام ، وفى المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحـديث ، قول (١) من يقول أن النعيم والعذاب لا يكون الا على الروح ، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب ، وهـذا يقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان ، وهؤلاء كفار باجماع المسلمين ، ويقوله كثـير من أهل الكلام من المعتزلة وغـيرهم الذين يقرون بمعاد الابدان ، لكن يقولون: لا يكون ذلك فى البرزخ ، وإنما يكون عند القيام من القبور ، لـكن هؤلاء ينكرون عذاب الأبدان فى البرزخ فقط ، ويقولون أن الارواح هى المنعمة أو المعذبة فى البرزخ ، فاذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معا ، وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من أهل الـكلام وأهـل الحديث وغيرهم ، وهو اختيار ابن حزم ، وابن مسرة ، فهذا القول ليس من الأقوال الثلاثة الشـاذة ، بل هو مضاف الى قول من يقر بعذاب القبر ، ويقر بالقيامة ، ويثبت معاد الأبدان والأرواح . لـكن هؤلاء لهم فى عذاب القبر ثلاثة أقوال (أحدها) أنه على الروح فقط (الثانى) أنه عليها وعلى

---

(١) كذا فى الاصل ، ولعله يريد مثل قول من يقول الخ .

البدن بواسطتها (الثالث) أنه على البدن فقط . وقد يضم الى ذلك (١) وهو قول من يثبت عذاب القبر ، ويجعل الروح هى الحياة ويجعل الفساد (٢) قول منكر عذاب الأبدان مطلقا ، وقول من ينكر عذاب البرزخ مطلقا، والفلاسفة الالهيون يقرون بذلك ، لكن ينكرون معاد الأبدان . فهؤلاء يقرون بمعاد الأبدان ، لكن ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابها بدون الأبدان ، وكلا القولين خطأ وضلال . لكن قول الفلاسفة أبعد من أقوال أهل الأسلام ، وإن كان قد يوافقهم عليه من هو متمسك بدين الاسلام ، بل من يظن أنه من أهل المعرفة والتصوف

والقول الثالث الشاذ : قول من يقول أن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب ، بل لا يكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى ، كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ونحوهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه ، فجميع هؤلاء الطوائف ضلال فى أمر البرزخ لكنهم خير من الفلاسفة فانهم مقرون بالقيامة الكبرى ، وأما الأحاديث الدالة على نعيم القبر وعذابه فهى كثيرة جدا ، بل لو قيل أنها بلغت التواتر فى المبالغة لم يبعد ذلك ، فمنها ما تقدم من أحاديث مسائلة منكر ونكير ، وفيها كفاية . ومنها مالم أحط به ولم أطلع عليه ، ومنها ماأطلعت عليه واختصرته للتطويل ، ومنها ما أذكره للتنبيه ، فقد ثبت فى الصحيحين من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ مر بقبرين فقال « إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ، ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين ، فقال : لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا » ورواه أبوداود الطيالسى . لكن قال فيه : « أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس » وباقيه كما

---

(١) كذا بالاصل ولعله سقط (قول آخر) أو (قول رابع) .

(٢) كذا بالاصل . وفى العبارة نقص كما يظهر .

ذكرته . وثبت فى صحيح مسلم فى حديث طويل قال « إن هذه الامة تبتلى فى قبورها ، فلولا أن لا تدافنو الدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه » ثم قال : « تعوذوا بالله من عذاب القبر » قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال : « تعوذوا بالله من عذاب القبر » قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال : « تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن » الحديث . وفى مسلم أيضا وجميع السنن عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع ، من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال » وفى الصحيحين عن أبى أيوب قال : خرج النبى ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتا فقال : « يهود تعذب فى قبورها » وفى صحيح البخارى ومسلم عن عائشة قالت : دخلت على عجوز من يهود المدينة فقالت : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم ، قالت فكذبتها ولم أنعم أن أصدقها ، فخرجت ودخل على رسول الله ﷺ فقلت : يارسول الله إن عجوزاً من عجائز يهود أهل المدينة دخلت فزعمت أن أهل القبور يعذبون فى قبورهم ؟ فقال : « صدقت إنهم يعذبون عذابا يسمعه البهائم كلها » قالت : فما رأيته بعد فى صلاته الا يتعوذ من عذاب القبر . قال بعض أهل العلم : ولهذا السبب يذهب الناس بالخيل إذا مغلت الى قبور اليهود والنصارى ، فاذا سمعت الخيل عذاب القبر أحدث لها ذلك فزعاً وحرارة تذهب بالمغل . والأحاديث كثيرة جدا فى هذا الباب ، وقد تقدم فى أحاديث المسائلة ماهو أبلغ من ذلك فى قوله : « فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك » وهذا صريح فى أن البدن يعذب فى القبر . وروى النسائى من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « هذا الذى تحرك له العرش ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهد له سبعون الفاً من الملائكة ، لقد ضم ضمة ثم فرج عنه » قال النسائى : ـ يعنى سعد بن معاذ ـ وفى حديث عائشة

قالت : قال رسول الله ﷺ : « للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ » قال نافع : بلغني أنه شهد جنازته سبعون الف ملك لم ينزلوا الى الارض قط ، وفي لفظ منديل من مناديل سعد خير من الدنيا وما فيها *

﴿ فصل ﴾

قال المروزي : قال الامام احمد : عذاب القبر حق لا ينكره الا ضال مضل . وقال حنبل : قلت لأبي عبد الله في عذاب القبر ؟ فقال : هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ، ونقر بها ، كلما جاء عن النبي ﷺ إسناد جيد أقررنا به ، إذا لم نقر بما جاء به الرسول ودفعناه ورددناه ، رددنا على الله أمره ، قال تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه) قلت له : وعذاب القبر حق ؟ قال : حق ، يعذبون في القبور ، قال : وسمعت أبا عبد الله يقول : نؤمن بعذاب القبر و بمنكر ونكير ، وأن العبد يسأل في قبره (فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) في القبر . وقال أحمد بن القاسم : قلت يا أبا عبد الله : نقر بمنكر ونكير ، وبما يروى من عذاب القبر ؟ فقال : سبحان الله نعم نقر بذلك ونقول به * قال العلامة ابن القيم : ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق العذاب ناله نصيبه منه ، قبر أو لم يقبر ، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً ونسف في الهواء ، أو صلب ، أو غرق في البحر ، وصل الى روحه وبدنه من العذاب ما يصل الى القبور . انتهى كلامه .

﴿ فصل ﴾

ومما ينبغي أن يعلم أن البلى يختص هذا البدن المشاهد المركب ، فان هذا البدن ليس بشيء ، إنما هو آلة ، والنظر الى ما يؤذي الروح وينفعها . وقد روى أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله باسناده قال : دخل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المسجد وقد قتل عبد الله بن الزبير ، فمال الى أسماء أم ابن الزبير فقال لها : أصبري

فان هذه الجثث ليست بشيء ، وإنما الأرواح عند الله تعالى، ثم قال: وروينا عن ابن الزبير أنه قال لامه أسماء قبل قتله : يا أماه ، إن قتلت فانما لحم لا يضر ما صنع بي * وروى خالد بن معد ان قال: لما قتل هشام بن العاص يوم أجنادين ، وقع على ثلمة فسدها ، ولم يكن ثم طريق غيره ، فلما انتهى المسلمون اليه هابوه أن يوطئوه الخيل ، فقال عمرو بن العاص : أيها الناس إن الله قد استشهده ورفع روحه ، وإنما هو جثة فأوطئوه الخيل ، ثم أوطأه هو وتبعه الناس حتى قطعوه . وإذا ثبت هذا ، فان الله تعالى إذا أتلف هذا البدن الترابي وأبلاه المعرض للآفات ، فانه سيعيده بدنا لا يبلى ، في حياة لا تنفد أبداً ، وتبدل صعوبات التكليف بحسن الجزاء ، ويعطيهم أجوراً باقية عن أعمال منقطعة ، كما لا يبقى لمرارات الشعث والتكليف في أيام الاحرام ، طعم عند أيام التشريق . والله تعالى الموفق *

﴿ الباب السابع والعشرون ﴾

(في عد الشهداء وفضلهم وأنهم أرفع درجات من الصالحين)

قال تعالى :(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) قال قتادة : قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ : كيف يكون الحال في الجنة وأنت في الدرجات العلى ،ونحن أسفل منك فكيف نراك ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية (ومن يطع الله) في إداء الفرائض (والرسول) في السنن (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين)أي لا تفوتهم رؤية الانبياء ومجالستهم . فاعلا درجات بني آدم الانبياء ، ثم الصديقون ، ثم الشهداء ، ثم الصالحون، وهذا ترتيب لاشك فيه ، لأن الله تعالى رتبهم في الذكر ، قدم الانبياء ، ثم الامثل فالأمثل في المراتب والمنازل .وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : «مامن نفس تموت لها عند الله خير أنها ترجع الى